

صورة الإسلام في التاريخ الكبير لمتى الباريسي

د/ محمد فوزي رحيل - الجامعة الأمريكية

مصر

2011

سیدنا ابی طالب (ع) کے بارے میں

میں نے لکھا ہے

کتاب کا نام ہے ...

يعالج هذا البحث صورة الإسلام من خلال مزمنة التاريخ الكبير للراهب والمؤرخ الإنجليزي متى الباريسي، ومصدر أهمية هذه الصورة أنها رسمت في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، تلك الفترة التي شهدت تراجعاً حاداً في الحماسة الصليبية في الغرب الأوروبي^(١)، ومن ثم عمدت البابوية ورجال الدين الكاثوليك إلى بث الدعاية للحرب الصليبية بشتى السبل؛ لشحن همم الأوروبيين، وفي هذا الإطار دوّن متى هذه الصورة. وسوف يعالج هذا البحث عدد من النقاط هي: التعريف بمتى الباريسي، ثم التعريف بتاريخه الكبير، وبأهم صفاته كمؤرخ، ثم ملامح الصورة التي رسمها للإسلام، وأخيراً دلالات هذه الصورة.

أما متى الباريسي فهو راهب إنجليزي من أصحاب الحوليات، وهو من كبار كتاب القرن الثالث عشر الميلادي في أوروبا^(٢)، وعلى الرغم من لقبه، ومن معرفته باللغة الفرنسية، كان إنجليزي المولد، لكنه ربما درس في باريس في شبابه بعد دراسته المبكرة في مدرسة دير القديس ألبان^(٣)، وبالرغم من ذلك لا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده أو عن سني حياته الأولى لكن يرجح أنه ولد بين عامي ١٢٠٠م و١٢٠٢م^(٤)، وكل ما نعرفه عنه أنه في عام ١٢١٧م، سلك سلك الرهبان في دير القديس ألبان، وكلف بالذهاب إلى النرويج للعمل على إصلاح نظم الرهبنة والديرية هناك. وقد قربته هنري الثالث ملك إنجلترا وكثرت مصاحبته له حتى على موائد الطعام، كما اشتهر بالحكمة والعدل حتى لجأ الناس إليه في حل مشاكلهم، ونظراً لمكانته لدى ملك النرويج فقد كلفه لويس التاسع (ت ١٢٧٠م)، عام ١٢٤٧م بحمل عدد من الرسائل إلى هذا الملك تدعوه للمشاركة في الحملة الصليبية على مصر^(٥). وتوفي متى عام ١٢٥٩م في نهاية العقد السادس من عمره^(٦)، وقد كون متى شبكة واسعة من الأصدقاء ما بين الملوك ورجال الدين والبارونات وغيرهم، وهو ما ساعده في مدوناته التاريخية، حيث وفروا له الوثائق الرسمية وشهادات شهود العيان التي استقى منها مادة تاريخه الكبير^(٧).

١- حول تراجع الحماسة الصليبية وأسباب هذا التراجع انظر: محمد فوزي، مملكة عكا الصليبية دراسة لعوامل الانهيار والسقوط، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٤ - ٣٠٠

٢- جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على مصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٧؛ العدوان الصليبي على بلاد الشام، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٩

3- http://en.wikipedia.org/wiki/Matthew_Paris.

4- Vaghan, (Richard), Matthew Paris, Cambridge, 1958, p. 1 - 2

٥- جوزيف نسيم، العدوان الصليبي على بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٧١م، ص ١٩

Ibid, p. 1 - 2

6- Ibid, p.11

7- Ibid, pp.13 - 17

أما عن التاريخ الكبير Chronica Majora فقد بدأ متى الباريسي في تأليفه عام ٦٣٨ هـ (١٢٤٠م). وقد تم نشر الكتاب بلغته اللاتينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ضمن موسوعة المصادر الإنجليزية المعروفة باسم اللفائف أو Rolls series، في سبعة أجزاء، ومن خلال هذه النشرة يمكن أن نقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام^(٨)، القسم الأول يشمل تاريخ للبشرية منذ بدء الخليقة حتى عام ١٢٣٥م، وقد اعتمد فيه على المؤرخ الإنجليزي روجر أوف وندوفر Roger of Wendover صاحب كتاب زهرة التواريخ، القسم الثاني يبدأ منذ عام ١٢٣٦م حتى ١٢٥٩م، اعتمد فيه على مصادره الذاتية سواء مشاهداته أو روايات الرهبان أو تقارير الموظفين الإنجليز وعدد كبير من الوثائق الإنجليزية، خاصة الخطابات التي ربما حصل عليها من هؤلاء الموظفين^(٩)، وقد ساعده على ذلك موقع دير ألبان الواقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى شمال لندن، وهو طريق يمر به كثير من الموظفين الخارجين أو العائدين إلى لندن وهو ما مكن رهبان الدير من تقديم واجب الضيافة لعدد كبير من الموظفين، الذين وفروا لرهبان الدير سيلاً من الأخبار^(١٠). وينتهي تاريخ متى عام ١٢٥٩م وهو عام وفاة المؤرخ، أما الجزء الثالث فهو ذيل لتاريخ متى كتبه أحد أقرانه في دير ألبان، ويشمل الفترة من ١٢٥٩م حتى عام ١٢٧٣م وهو وليم ريشانجي Guillaume Rishanger^(١١).

ولم يكن التاريخ الكبير هو مؤرخة وليم الوحيدة، ذلك أن متى قد ملأ تاريخه بالنقد اللاذع لمعاصريه، وقد أدرك متى خطورة نشر هذا النقد في حياته، ومن ثم جنح نحو تخفيف حدة هذا النقد في مؤرخة عرفت بالتاريخ الإنجليزي Historia Anglorum أو التاريخ الصغير، بدأت من عام ١٢٣٦م حتى ١٢٥٩م، أي الفترة التي دونها متى غير أنه قد أضيف إليها بعد وفاته الذيل الذي كتبه ريشانجي، وهي الصورة التي ظهرت بها الترجمة الإنجليزية لكتاب متى تحت اسم التاريخ الإنجليزي^(١٢).

ومن أهم سمات متى المؤرخ قدرته العالية على الوصف والحكي، وهو ما مكنه من تصوير معاصريه تصويراً قريباً من الحقيقة سواء في أفكارهم أو أهدافهم، غير أنه افتقد النظرة الكلية للأحداث، كما امتلك روحاً نقدية عالية لم تمنعه من نقد من أعجب بهم، فعلى سبيل

8- Matthew parisiensis Chronica Majora, 7 vols., Rolls Series, Edited by H R. Luard, London, 187281-

٩- محمد فوزي رحيل، مملكة عكا الصليبية، ص ١٣

١٠- بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٦٠

١١- جوزيف نسيم، حملة لويس التاسع على بلاد الشام، ص ٢٠

12- Mathew paris, English History, 3 vols.

المثال تعاطف كثيراً مع الملك هنري الثالث (١٢٠٧ - ١٢٧٢ م) لكنه لا يتورع عن وصف الملك برجل الدولة غير القدير، فهو ربما يعجب بالرجل في جانب وينقضه في جوانب ولا يمنع هذا من ذلك، وقد أظهرت مدونات متى تأييده الشديد لمطالب الرهبان الإنجليز الذين ينتمي إليهم، سواء من التاج الإنجليزي أو من رجال الدين العلمانيين أو من الرهبان المتسولين، ولم يخش مكانة ولا سطوة البابا أنوسنت الرابع (١٢٣٤ - ١٢٥٤ م) من جراء سياسته، فانتقد موقف البابا من فردريك الثاني، حين أكد رفض البابا لمساعي الصلح التي بذلها فردريك، إذ قرر تحطيم مكانته ونفوذه حتى يكون عبرة لكل ملوك الغرب فلا يتجرأ أحد على سلطانه بعد ذلك، وقال متى في هذا الصدد: «إن جشعه وحببه الشديد للمال هما السبب في كل هذه الكوارث... لقد أغشى المال على بصيرته - إن البابا هو المسؤول عن كل هذا القلق والاضطراب الحادث في العالم، ولم لا؟ لقد سار على خطى قسطنطين، وترك درب القديسين»^(١٣). وبالرغم من ذلك عانى من ضيق نظرة للأحداث بجانب لجوءه إلى عبارات بلاغية قد تضلل القارئ، كما أنه لم يكن متى بريئاً في التعامل مع الوثائق التي حشي بها كتابه، وعلى سبيل المثال عبثه بنص العهد الأعظم أو المجنا كارتا، كما أن تأريخه لأحداث عصره غير دقيق، وربما يكرر الخبر عن نفس الموضوع في مناطق شتى، لذلك يجب أن نكون حذرين عندما يكون متى المصدر الوحيد للخبر^(١٤). كما أكثر من التلميحات التوراتية والأمثلة الكلاسيكية في عباراته^(١٥).

أما عن مصادر الصورة التي رسمها للإسلام، فمن خلال المطالعة الدقيقة لهذه الصورة، نتبين أنه استقى هذه الصورة من أربعة مصادر: أما عن **المصدر الأول** من خلال التقارير التي كان يرسلها المبشرون إلى البابا في روما عن المسلمين وعقائدهم، وبالتالي كان البابا يرسل بفحواها كما يهوى إلى بقاع أوروبا^(١٦)، أما **المصدر الثاني** رجال الدين الكاثوليك ذوي المناصب في المغتصبات الصليبية في الساحل الشامي، الذين كانوا يرحلون إلى أوروبا بصورة متوالية لأغراض شتى سواء الدعوة لحملة صليبية أو طلب العون المادي ومن بينهم رئيس رهبان كنيسة القديس توماس في عكا، الذي زار دير ألبان حيث كان يقيم متى^(١٧) ومما يؤكد دور رجال الدين الكاثوليك في الساحل الشامي في رسم الصورة التي تكونت لدى متى ذكره أن قبلة

13- Matthew Paris, English History, vol.II, p.67

محمد رحيل، مملكة عكا الصليبية، ص ٢٥٦

14- http://en.wikipedia.org/wiki/Matthew_Paris

15- Vanghan, Matthew Paris, p. 126

16- Matthaeei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.344; see also, English History, Vol. 1, p14

١٧- متى الباريسي، التاريخ الكبير، ١٦٥٨

المسلمين تكون إلى الجنوب^(١٨)، وهذا حق في فلسطين فحال صلاة المسلم يتجه نحو الجنوب حيث الكعبة، أما في غيرها فلا، أما **المصدر الثالث** فلم يصرح به متى لكنه ظهر من خلال الصورة التي رسمها للإسلام وهي الرؤية الشعبية ذات الطابع الأسطوري التي انتشرت في أوروبا على نطاق واسع في بداية القرن الثاني عشر الميلادي^(١٩)، أما **المصدر الرابع** فهو مصدر لم يصرح به متى أيضاً وهو كتابات اللاهوتيين الكاثوليك عن المسلمين، وقد ظهر ذلك في تفسيره للفتنة السراكنة، وهو تفسير أخذ عن إيدور الإشبيلي Isidore of Seville (ت ٦٦٣ م)^(٢٠).

أما عن غرض متى من رسم هذه الصورة، فقد أعرب عنه في بداية روايته حين قال: «حين نشرت إلى العالم وحوت العقيدة الزائفة عن جنون محمد نبي الإسلام فإنها أثارت حقد الجميع»^(٢١) أى أن هذه الصورة قد رسمت لشحن همم الأوربيين ضد المسلمين ولم تجد وسائل الإعلام الغربية خير من تشوية سمعة نبي الإسلام حتى يكره الجميع الإسلام، فلا يدخلون على الحركة الصليبية لا بالنفس ولا بالمال. في وقت اهتزت فيه ثقة الأوربيين بالبابوية مما أدى إلى تراجع أيديولوجية الحرب الصليبية، ولعلنا نلمس التراجع الأيديولوجي للحركة الصليبية منذ فشل الحملة الصليبية الثالثة، إذ عبرت بعض الأشعار عن رفض قتال المسلمين والتمسك بالوطن الأم^(٢٢)، كما حملت كثير من القصائد البابوية مسؤولية فشل الحملة الخامسة على دمياط^(٢٣).

ومع توالي إخفاقات الحروب الصليبية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر زادت النغمة النقدية للحروب الصليبية حدة، فنجد الشاعر الجوال روتيف Rtebeuf يرفض الخروج في حملة صليبية أو دفع مبالغ مالية للرهبان المتسولين الداعين لدعم الحركة الصليبية، بعد ما تأكد أن جماعة منهم تحتفظ بالمال الذي جمعه باسم الصليب في جيوبهم الخاصة بدلاً

18- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.355; see also, English History, Vol. 1, p23

19- The Deeds of God through the Franks, translated by Robert Levine, on <http://onlinebooks.library.upenn.edu>

20- Tolan (John), Saracens, in The Crusades An Encyclopedia, ed. By Alan V. Murray, Oxford, 2006, pp.1075

وعن إيدور الإشبيلي انظر:

JOHN B. O'CONNOR, St. Isidore of Seville, in Catholic Encyclopedia, vol,

21- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.344; see also, English History, Vol. 1, p14

٢٢- متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص٢٤

٢٣- زابوروف، الصليبيين في الشرق، ص٣٠٧

من دعم الخارجين للقتال^(٢٤)، كما عبر في إحدى قصائده عن معنى مؤداه أنه من الحماققة أن يعرض الإنسان نفسه للخطر في حرب دينية خارج بلاده طالما كان بإمكانه أن يعيش في وطنه بسلام^(٢٥)، كما عبرت كثير من أغنيات الشعراء الجوالين عن رفض الخروج في الحملات الصليبية^(٢٦)، بل ذهب بعضهم مذهباً بعيداً حين أعلنوا في أغانيهم أن الله لم يعد له أهمية في الحروب الصليبية على حد تعبير رنسيमान^(٢٧).

أما عن قسمات الصورة التي رسمها متى، فقد قسمها إلى عشرة أقسام، غير أن الأخذ بهذه الأقسام كما هي يؤدي إلى ارتباك وعدم فهم لهذه الصورة في ظل تداخل قسمات الصورة ووضع عناوين لا تتناسب مع ما يندرج تحتها، وعلى هذا فقد لجأ الباحث إلى إعادة ترتيب الصورة بما ييسر فهمها والتعامل معها، ومن ثم جاءت الأقسام كالتالي: لقب المسلمين، نسب نبي الإسلام، التشكيك في نبوة نبي الإسلام، تعاليم وشرائع الإسلام، نظرة الإسلام للمسيح، أسباب انتشار الإسلام على نطاق واسع.

بدأ متى الصورة بعبارة مليئة بالدلالات حول لقب المسلمين حيث يقول «يصر السراكنة على أنهم عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى سارة، وإسماعيليين نسبة إلى إسماعيل»^(٢٨) ويبدو أن متى أو المبشرين الذين نقل عنهم، قد أرادوا أن يظهروا المسلمين بمظهر التحلل من نسبهم إلى السيدة هاجر ذات الأصل غير الحر، وينتسبون إلى السيدة الحرة سارة زوجة الخليل عليه السلام التي كانت في الأصل سيدة لهاجر^(٢٩)، وغرض متى من هذا الاستهلال هو التنويه بشعور المسلمين بالنقص نتيجة أصولهم البعيدة غير الحرة كما يتخيل، مما يكون نزوعاً سلبياً تجاه المسلمين لدى الأوروبيين حين يطلعون على كتاب التاريخ الكبير. أما لقب السراكنة فهو مصطلح شائع في الكتابات الغربية في العصور الوسطى للدلالة على المسلمين -، ويبدو أن متى في هذا التفسير والشرح قد تأثر بإيدور الإشبيلي الذي يعزى إليه هذا التفسير، الذي تواتر لدى

٢٤- نفسه، ص ٣٠٨

25- Maier (Christoph), Preaching the Crusades Mendicant friar and the cross in the thirteen century, Cambridge, 1997, p.158

26- Throop, Criticism of the Crusade, p. 153

٢٧- الحروب الصليبية، ج٢، ص ٥٨٣

28- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.344; see also, English History, Vol. 1, p14

٢٩- ابن اسحق، سيرة ابن اسحق المسماة المبتدأ والمبعث والمغازي، ج١، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ص ٥٠: ابن اسحق بن العباس، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج٢، بيروت، ١٤١٤هـ، ص ٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج١، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص ١٥٠. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، بيروت، د.ب، ص ١٥٠

المؤرخين الأوروبيين ولم يشذ عنهم متى^(٣٠). ومهما يكن من أمر فالإسلام لا يعول على عرق ولا نسب، ولكن يعول على العمل، وذلك بنص القرآن والسنة^(٣١)، كما أن معظم المسلمين في ذلك العصر لم يكونوا عرباً فقط بل أيضاً فرس وهنود وبربر وقبط ومن سائر أجناس الأرض التي دخلت في حوزة المسلمين واعتنق أهلها الإسلام بنسب متفاوتة.

ومن أبرز سمات الصورة التي رسمها متى النقل الانتقالي من المصادر الإسلامية بما يحقق الغرض الذي من أجله رسم الصورة وهو إثارة حقد الأوروبيين ضد الإسلام، وفي هذا الإطار يأتي **نسب الرسول محمد** (صلى الله عليه وسلم)، فمما ذكره متى أن «إسماعيل، الذي أنجبه إبراهيم من أمته هاجر، ومن إسماعيل ولد أبناؤه: قيذار، ويشجب، يعرب، تيرج، تاحور، مقوم، أدد، عدنان، معد، نزار، مضر، إلياس، مدركة، خزيمة، كنانة، النضر، مالك، فهر، غالب، لؤي، كعب، مرة، كلاب، قصي، وعبد مناف، وهاشم، وعبد المطلب، والذي أنجب، عبدالله، والد سيدنا محمد^(٣٢)، والحقيقة أن كل ما قاله متى عن شجرة نسب الرسول محمد مطابق تماماً لما ورد في كتب السيرة النبوية وفي مقدمتها سيرة ابن هشام^(٣٣)، أما الدليل الثاني على إطلاع متى أو من أخذ عنه الصورة التي قدمها للأوروبيين فهو خبر عن عيسى عليه السلام وإحيائه يافث بن نوح لسؤاله عن السفينة، فهذه الرواية مأخوذة بنصها من تاريخ الطبري ونقله عنه ابن

٣٠- استخدم لفظ السراكنة في المدونات التاريخية الأوربية في العصور الوسطى للتعبير عن المسلمين، وهذا اللفظ على الأرجح مستقى من لفظة الشرقيين العربية ثم انتقلت إلى اليونانية ومنها إلى اللاتينية، وقد استخدمه الرومان للتعبير عن مجموعة من العرب كانوا يعيشون في غربي الجزيرة العربية، وفي القرن الثالث الميلادي اتسع ليشمل كل البدو في الجزيرة العربية، وبعد ظهور الإسلام، أطلق على كل المسلمين عرباً وعجماً، كما أطلق لفظ سراكنة على كل من ليس بمسيحي فقد أطلق على ملك فرنس كلوفيس قبل اعتناقه المسيحية، كما صورت مسرحيات القرن الرابع عشر الميلادي الرومان بأنهم سراكنة، كما أطلقت المصادر الأوربية على الإمبراطور الروماني تراجان لفظ سراكنوي، وقد ظل لفظ سراكنة للتعبير عن المسلمين حتى تلاشى في القرن السابع عشر الميلادي ليحل محله المسلمين والمحمديين والأتراك.

Tolan (John), Saracens, pp.1074 - 1077. see also, Saracens on <http://en.wikipedia.org/wiki/saracen>.

٣١- في هذا المعنى قال تعالى «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» سورة الحجرات أية ١٢، وفي مسند الإمام أحمد حدثنا إسماعيل، حدثنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة، حدثني من، سمع خطبة، رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم» مسند الإمام أحمد ج٥، حديث ٢٢٣٩١

٣٢- متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٥

٣٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨ - ١٠

كثير وعلق عليه بغرابة سندها وعدم الوثوق به^(٣٤). والدليل الثالث على هذا النقل خبر هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة فقد وصفها متى وصفاً دقيقاً، حين وصفها أنها مدينة في الصحراء، شطر سكانها من اليهود والآخر من الكفار الوثنيين، ووصف جل سكان المدينة بالجهل والبساطة وهو ما وفر التربة الخصبة لنشر الإسلام من وجهة نظر متى وهو وصف طالما وصف به المسلمون، وهناك بنى معبداً لنشر عقائده المزيفة بين البسطاء^(٣٥). والحقيقة أن إطلاق اسم المعبد على دار عبادة المسلمين التي عرفها العالم أجمع باسم المسجد يوحي بإصرار متى ومصادره التي اعتمد عليها على وصف الإسلام بالوثنية تأكيداً لزييف الاسم في اعتقاده أو كما أراد أن يراه الغربيون ممن سوف يطلعون على كتابه، في وقت لا ينكر فيه أن أوربا صار لديها معارف لا بأس بها عن الإسلام في ظل الاتصال المكثف بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي في ظل الحركة الصليبية ناهيك عن التواجد الإسلامي في الأندلس منذ أواخر القرن الأول الهجري^(٣٦).

ومهما يكن من أمر فالنقل النصي من المصادر الإسلامية وإن كان نقلاً انتقائياً يدس فيه السم في العسل للأوربيين الذين لا يعلمون شيئاً عن الإسلام، يخدم أغراض أصحاب الروايات الأوربية إلا أنه نوع من التطور في فهم الإسلام، ففي بداية القرن الثاني عشر حين كتب جيوريت أوف نوجنت عن الإسلام أكد أنه لم يستطع الوصول إلى مصدر يأخذ منه المعرفة بالإسلام وبالتالي أخذه من أفواه العامة ومن ثم جاءت رؤيته عن الإسلام أسطورية في مجملها^(٣٧)، ولا تنكر محاولات القرن الثاني عشر للتعرف على الإسلام عن قرب، مثل محاولة بورشارد حين جاء إلى صلاح الدين رسولاً من فردريك بارباروسا فقدم صورة أقرب إلى الواقع مما رواه حيوريت^(٣٨).

أما الجانب الثالث من الصورة التي رسمها متى للإسلام فتهدف إلى التشكيك بل نكران نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وشمل هذا الجانب الكثير من النقاط ليحقق بها غايته **أولها**: إظهار محمد صلى الله عليه وسلم في صورة الانتهازي الباحث عن الثروة الذي ألقى حباثته وتزوج من واحدة من ثريات قریش ليستطيل بماله على أهل مكة، بل ودفعه غنى زوجته إلى التسامي لطلب

٣٤- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٨٢

35- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.346; see also, English History, Vol. 1, p16

36- Tolan (John), Saracens, in The Crusades An Encyclopedia, p1075

37- The Deeds of God through the Franks, translated by Robert Levine, on <http://onlinebooks.library.upenn.edu>; Munro, the Western attitude, p.333

38- Munro, the Western attitude, p.338

الملك، غير أنه لم يفعل بسبب معارضة من هم أكثر نبالة منه وقوة في الشخصية، وعند ذلك قال أنه نبي ويجب على الناس أن تتبعه^(٣٩).

وهذا كله يجافي الحقيقة ويبدو أن المبشرين الذين نقلوا نسب الرسول بكل دقة قد ساءهم أن ينقلوا باقي أحداث السيرة النبوية بنفس الدقة، ومن ثم أخذوا في تلفيق النصوص لا شيء سوى لتشويه سيرة رجل ذهبوا ليحولوا الناس عن دينه، ومن ثم جافوا الحقيقة وقالوا ما قالوه بدلاً من أن يكرروا ما رأوا، أو روي لهم عن الدعوة الإسلامية وما عاناه الرسول في سبيل نشر دعوته وما لاقاه من قومه، وبدلاً من ذكر حقيقة عرض قريش الملك عليه ليتخلى عن دينه، ورفضه القاطع لذلك، كما ذكرت كتب السيرة ومن أراد فليرجع إلى كتب السيرة التي ذكرت أنه قد قالوا له «إن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا»^(٤٠) بدلاً من ذكر كل ذلك ذكروا أنه سعى، للملك لكنه خشي بسبب وضاعة نسبه، وهو ما يجافي الحقيقة فحين نزل القرآن على النبي، لم يكن ينقصه الشرف فهو حفيد سيد قريش، الذي ذكر متى نفسه أن جده كان راعياً للكعبة^(٤١).

ومهما يكن من أمر فقد كان متى في صورته أقل أسطورية من جيوبرت أوف نوجنت الذي ادعى أن مهرطقاً مسيحياً قد ملأ عقل محمد (صلى الله عليه وسلم) بالسموم والعقائد الفاسدة، لكنه كان قليل المال مما أعاقه عن نشر أفكاره فبدأ يجمع المال من كل مقصد، ثم أراد المهرطق أن يزيد من قوته فاستغل ترميل خديجة رضى الله عنها وزين محمد في نظرها حتى اقتنعت به زوجاً، وبهذا الزواج حاز الثروة والرفعة، فادعى الوحي والنبوة واجتمع الناس حوله^(٤٢). ويرجح أن يكون هذا المهرطق هو ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة^(٤٣).

39- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.345; see also, English History, Vol. 1, p15

متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٦

٤٠- سيرة بن اسحق، ج ٤، ص ١٧٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨٦؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج ١، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٣

41- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.345; see also, English History, Vol. 1, p15

متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٦

42- The Deeds of God through the Franks, translated by Robert Levine, on

<http://onlinebooks.library.upenn.edu>

٤٣- سيرة بن اسحق، ج ١، ص ٢٠؛ أخبار مكة، ج ١، ص ٨٤؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٣٢؛ أبي الربيع الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والسادة الخلفاء، ج ١، تحقيق د. محمد كما الدين عز الدين على بيروت، ١٩٩٧م، ص ٢٠٤؛ ابن برهان الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة المين المأمون، ج ١، ص ٣٨٧، ١٤٠٠ بدون ناشر.

أما الأمر الثاني الذي أراد به أن يشكك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فهو نوعية المؤمنين به، فذكر أن من آمن بالرسول هم الجاهلين الفقراء الذين لم يروا من قبل نبياً بجانب المحرومين كنسياً، بالإضافة إلى قطاع الطرق واللصوص^(٤٤) بدلاً من أن يمشوا إلى من اعتنق الإسلام من كبار سادة قریش وعقلائهم مثل أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب^(٤٥)، وحين تحدث عن المؤمنين بالنبي في يثرب كذلك وصفهم بالجهل والبساطة وهو ما وفر التربة الخصبة لنشر الإسلام - من وجهة نظر متى - وهو وصف طالما وصف به المسلمين^(٤٦). ولم يهتم الناقل بخبر أعيان يثرب وعلماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، قبل وبعد الهجرة^(٤٧).

أما الأمر الثالث الذي أراد به متى أن يشكك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فهو اتهام النبي باللصوصية والاعتداء على التجار قبل الهجرة من مكة وبعدها، ففي مكة اتهم النبي بسرقة أبي جهل، وفي المدينة اعتبر السرايا وغزوات النبي نوعاً من اللصوصية الهادفة إلى نهب التجار، وفي السياق أعطى ستة أمثلة على هذه اللصوصية التي فشل فيها محمد جميعاً^(٤٨). والحقيقة أن هذا الأمر يوضح سوء مقصد متى أو من نقل عنه، فلم يهتم بأن يذكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد لقب بالصادق الأمين في مكة، وأن أمانات أهل مكة الكافر منهم قبل المؤمن كانت في بيته ليلة هجرته، وكان يستطيع أن يفر ببعضها، ولو فعل ما لأمه أحد بعد أن جرد أصحابه حال هجرتهم من أموالهم ومن بين من جردوهم أناس كان لهم أمانات لدى الرسول، لكنه لم يخنهم وترك علياً بن أبي طالب ليرد ذلك إليهم^(٤٩)، أما في شأن الغزوات والسرايا فقد خلط متى خلطاً رهيباً بين أحداثها ورجالها ومواضعها ونتائجها بشكل يربك القارئ فلا يخرج بشيء منها، إلا أن يزداد حقداً على صاحب هذه السيرة وعلى الدين الذي يدعو إليه.

44- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.345; see also, English History, Vol. 1, p15

متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٦

٤٥- صحيح البخاري، ج٢، ص ١٤٠٢؛ سيرة ابن اسحق، ج٢، ص ١٠٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٧٤؛ ج٥، ص ٢٣

46- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.345; see also, English History, Vol. 1, p15

متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٦

٤٧- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٩٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج١، ص ٥٦٥؛ الاكتفاء، ج١، ص ٣١٨؛ علي بن برهان، السيرة الحلبي، ج٢، ص ١٧٨؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٢

48- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.346 - 7- see also, English History, Vol. 1, p16-17

متى الباريسي، التاريخ الكبير، ص ٢٦ وما بعدها.

٤٩- مصادر عن أحداث الهجرة.

ورابع الأمور التي أراد بها متى أن يشكك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو عدم تبأه بما يمكن أن يقع له من السوء، وهذا لدى متى أمر عظيم فكيف يكون نبياً ويهزم في المعارك، وكيف يكون نبياً ويصاب فيه وتكسر أسنانه وفكه - إشارة إلى ما وقع في غزوة أحد - ، وكيف يكون نبياً ولا تساعد الملائكة، وعلى حد زعمه أن المسلمين يدعون أن النبي كان معه عشرة ملائكة لخدمته فيسائل لماذا لا يمنعونه^(٥٠). والحقيقة أن الاعتماد على كتب السيرة التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الرسول إلا وأحصتها - هي من أوثق المصادر وأصدقها عن سيرة رجل في التاريخ إذا ما قورنت بغيرها من سير المشاهير - توضح أن النبي في كل غزواته كان يتصرف ببشريته وليس بمساعدة من السماء - وإن لم يمنع ذلك حدوث بعض المعجزات كانت في خدمة المسلمين - فحين يأخذ بالأسباب ينتصر وحين يتخاذل المحيطون به ولا يأخذوا بهذه الأسباب يهزم المسلمين، كما حدث في سائر الغزوات، التي انتصروا فيها أو كسروا في غيرها، ولوقال النبي أنه يعلم الغيب لصار مناقضا للكتاب الذي أرسله الله به والذي نص على ذلك، وهذا الاتهام اتهمه به رافضوا دعوته، فأوضح لهم كما جاء في القرآن أنه لا يعلم الغيب ولو علمه ما مسه السوء^(٥١)، إذن هذا السوء الذي تعرض له هو دليل صدق رسالته.

أما خامس الأمور فهي شهبانية محمد صلى الله عليه وسلم وزناه فحتى تزداد الصورة قتامة اتهموا النبي بالزنى والشهبانية، بل والطمع في نساء أتباعه، ظلما وزورا، وحتى تسبك الصورة اتجهوا إلى الخلط بين حديثين بعيدين عن بعضهما تماما، الأول هو زواج الرسول بالسيدة زينب بنت جحش والثاني حديث الإفك الذي تعرضت له السيدة عائشة، فالرواية تصور النبي بالشهبواني وعلم أصحاب النبي بذلك لدرجة أنهم كانوا يخفون عنه زوجاتهم حتى لا يطمع فيهن فهذا زيد بن حارثة يأمر زوجته بالاختفاء عن عين النبي حتى لا يأخذها منه، لكن النبي حين راها تنازل عنها زيد على الفور فأخذها النبي وتزوجها زاعما أنه أمر من السماء^(٥٢)، وحتى تبقى الرواية في ظاهرها سليمة لم تذكر أن زوجة زيد هي ابنة عمه النبي وهو الذي زوجها من تابعه وأن القرآن قد أمر النبي بالزواج منها لحكمة إلغاء عرف التبني عند العرب التي كانت شائعة منذ زمن بعيد^(٥٣)، وحكما للرواية أظهر متى عليا بن أبي طالب بمظر الرفض لفعل

50- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.346; see also, English History, Vol. 1, p16

٥١- جاء في سورة الأعراف أية ١٨٨: «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون».

52- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p.647 ; see also, English History, Vol. 1, p17

٥٣- سعيد أيوب، زوجات النبي صلى الله عليه واله وسلم قراءة في تراجم أمهات المؤمنين في حركة الدعوة، ص ٦٥-٦٧

نبيه موضحاً له أنه يسيء إلى سمعته بارتباطه بهذه السيدة^(٥٤). وهكذا يخلط متى بين عناصر السيرة لتصوير الإسلام في صورة مشوهة. أما زوجات النبي فقد اختلط الأمر لدى الراوي أو هكذا أراد، فقد ادعى ان زوجات النبي كن خمس عشرة زوجة، وأن النبي كان له زوجتان من الحرائر والباقي من الإماء^(٥٥) ثم أخذ في الرواية لذكر نساء النبي بخلط واضح بين الاسماء والأحداث.

ولو كان النبي شهبانياً كما يقول متى أو من نقل عنه لتزوج قبل الخامسة والعشرين من عمره^(٥٦)، أو لصار من رواد بيوت صويعبات الرايات التي كانت تجارة رائجة في مجتمع الجاهلية حتى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفخر أنه ولد من نكاح أي زوج شرعي ولم يولد من سفاح أي بشكل غير شرعي^(٥٧)، وهو ما يوضح مدى تفشي هذا الداء في مجتمع ما قبل الإسلام، ولو كان النبي شهبانياً لأقبل على زواج البكر بدلاً من الثيب ذات الأولاد، كما أنه لم يتزوج عليها في حياتها، وحين توفيت كان قد صار في الخمسين من عمره ولم يعد للشهوة الجامحة نصيب، وحين تزوج هذه المرة لم يتزوج ببكر بل ثيب وهي السيدة زمعة، ليؤنس وحدتها ويرعى عيالها وترعى عياله، ولم تكن أم المؤمنين زمعة هذه ذات جمال أو نسب أو مال، بل فقيرة ذات عيال، كما أنه لم يتزوج ببكر خلا عائشة بنت أبي بكر، أما باقي نسائه فقد كان لزوجاته بكل واحدة منهن مبرر، إما لتشريع مثل زينب بنت جحش، والحديث يطول عن زوجات النبي ومبررات زواجه بهن وهذا ليس مقام التفصيل بل الإجمال^(٥٨).

أما الأمر **السادس** والأخير الذي أراد حتى أن يشكك به في صحته نبوة الرسول فهو موت النبي (صلي الله عليه وسلم) ودفنه، فقد ذكر أنه قد سم في فخذ شاه على يد امرأة تسمى زينب، وعند الأكل نطق الذراع بأنه مسموم، وبعد ثمانية عشر عاماً كما تقول الرواية مات

على موقع الشيعة العالمية على الانترنت http://www.shiaweb.org/books/zawjat_alnabi/index.html

54- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p348. ; see also, English History, Vol. 1, p18

55- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p348. ; see also, English History, Vol. 1, p18

عن زوجات النبي انظر: الزبير بن بكار، المنتخب من كتاب زوجات النبي، تحقيق سكينه الشهابي، بيروت، ١٤٠٢هـ

٥٦- ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج١، ص١٠٩؛ ابن عبد البر، الاستعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، تحقيق علي

محمد البجاوي، بيروت، ١٤١٢هـ، ص١٩١٩؛ ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج٧، تحقيق علي محمد

البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ، ص٦٠٢؛ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج١، بيروت، ١٩٩٣م، ص٩

٥٧- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، بيروت، ١٤٠١هـ، ص٦٩؛

٥٨- عبد الصبور مرزوق، تعدد زوجات النبي، ضمن كتابين حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إشراف

د.محمود حمدي زقزوق، القاهرة، ص٣٥١ - ٣٦٨

الرسول مسموماً، وتكمل الرواية وتقول لو كان نبيا حقا لأنقذ نفسه من السم^(٥٩). وبإحدى ذي بدء هذه الرواية بها بعض من الحقيقة فاسم المرأة التي قدمت الشاه المسمومة زينب بنت الحارث بالفعل ونطق الزراع بعد أن لأك النبي منه قطعة في فمه أما تابعه بشر بن البراء فقد أسرع في الأكل فقضى نحبه بسبب شدة السم، أما وفاته متأثراً بالسم فلم يكن بعد ثمانية عشر عاماً كما ذكر بل بعد أربع سنوات فقط، فقد فتحت خبير التي حدثت فيها الحادثة عام ٧هـ وتوفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عام ١١هـ^(٦٠).

والغريب أن متى قد ادعى إدعاء غاية في الغرابة عن وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أنه حين حضرته الوفاة وتيقن أنه مرض الموت، طلب من أصحابه أن يتركوه ولا يدفنوه لأنه يرتفع إلى السماء، ولما بقى أياماً مكانه ولم يصعد إلى السماء دفنه المسلمون بعدما تبينوا كذبه وهذا كذب واضح فلم يصح أن النبي ادعى أنه سوف يرتفع إلى السماء لكنه أوصى أن يدفن في مكان وفاته ليس أكثر ويبدو أن متى قد أراد أن يزيد الصورة قتامة، فأكد في موضع آخر غير موضع رواية الشاة المسمومة أنه صلى الله عليه وسلم قد أصابه الصرع قبل وفاته ووقع على الأرض وحيداً بعيداً عن أصحابه، بين الموت والحياة ولم يكتشفه سوى خنزيرة مع صغارها الجائعة فتكالبوا عليه فخنقوه ومن يومها يكره المسلمون الخنازير. ومن الواضح هنا أن هذه الرواية عادت للتأثر بالرواية الشعبية التي اعتمد عليها جيوربت أوف نوجنت والتي حكت خبر وفاة الرسول بشئ مشابه لكنها زادت على ذلك أن الخنازير قد أكلته ولم يبق منه سوى نعليه فكتب جيوربت مريثة لهذين النعلين.

أما الجانب الرابع من الصورة التي رسمها متى للإسلام فقد ركزت على تعاليم الإسلام وشرائعه، فقد أقر متى بأن المسلمين يعبدون إلهاً واحداً، غير أنهم لا يؤمنون بالثالوث المسيحي، ولا يعبدون الأصنام، وفي هذا الاعتقاد يتفق متى مع عدد من كتاب الغرب ومؤرخيهم مثل راؤل جربت وجيوربت أوف نوجانت، وأوتو الفريزي، الذين أقروا بعدم وثنية المسلمين، وبالرغم من ذلك قبل متى خبر نقله إليه متى رئيس دير القديس توماس في عكا، بأن برقاً نزل من السماء واحرق معبد محمد وأحرق تمثاله، وهذا ولا ريب انتكاسة في فهم عقائد المسلمين عن قصد يتفق فيها مع من اتهموا المسلمين بالوثنية مثل مؤلف أنشودة رولان وفوشيه الشارترى، ووليم

59- Matthaee Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p349. ; see also, English History, Vol. 1, p19

٦٠- المبارك الفوري، الرحيق المختم، ص ٣٤٤ - ٣٤٥؛ عبد الصبور مرزوق، تعدد زوجات النبي، ضمن كتاب حقائق

الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إشراف د. محمود حمدي زقروق، القاهرة، ٢٠٠٢م ص ٣٥١ - ٣٥٢

الصوري، ولم يكلف متى نفسه عناء نقد ذلك فلماذا يعترف بكراهية المسلمين للوثنية ثم يسكت عن وجود صنم لمحمد، والأمر عندي أنه لا بأس لدى متى بذكر أي خبر ولو كان مكذوباً مادام يحقق الغاية التي من أجلها كتب ودون أخبار المسلمين وهي إثارة أحقاد الأوربيين ضدهم.

فقد أكد متى أن نبي الإسلام كان مدع للنبوة، وأنه لم يكن نبياً حقاً، ومن ثم عاقبه الرب بإصابته بالصرع، وحين سئل عن ذلك قال لأتباعه أن ذلك هو الوحي ينزل عليه من السماء على يد جبريل كبير الملائكة، وما يحدث من صرع يأتي نتيجة عجز البنية البشرية عن تحمل عظمة الملك جبريل، وهذا التفسير لنزول الوحي لا يبعد كثيراً عن تفسير جيوربت الشعبي، ففي حادث نزول الوحي إدعى جيوربت أن (محمد صلى الله عليه وسلم) قد أصيب بالصرع وهو ما جعل خديجة تتحسر على قبوله زوجاً، ومن ثم هرعت إلى الناسك المهرطق، الذي زين لها محمداً زوجاً، تلومه على هذه الزيجة، فتمكن هذا المهرطق أن يقنعها أن هذه من علامات النبوة، نتيجة عدم تمكن الجسد البشري من تحمل وطأة الملك الموكل بالوحي، ومن هنا تحول غضب خديجة إلى سرور بكونها زوجة نبي. وهذا كله عار من الصحة فلم يؤثر أن النبي صرع في أي من مرات نزول الوحي، وما أصابه عن نزول الوحي لم يكن أكثر من رعدة لرؤية جبريل للمرة الأولى، لكن النبي لم يغب عن الوعي ولم يصرع^(٦١).

أما في شأن **القرآن** بحكم كونه كتاب المسلمين المقدس، فقد نظر متى إليه على أنه وحي من الشيطان كتبه محمد -صلى الله عليه وسلم- وخلط فيه بين الحق والباطل، بأن أخذ من التوراة والإنجيل القليل وأضاف إليهما الكثير ليكون كمن يدس السم في العسل على حد زعمه، بالرغم من إقرار متى بضرورة إيمان المسلم بالكتب المقدسة وهي التوراة والإنجيل^(٦٢)، لكن متى فهم خطأ أن هذا الإقرار يوضح أن المسلمين لا يعترفون إلا بثلاثة أنبياء وهم موسى وعيسى ومحمد، وهذا عار من الصحة ولا يحتاج إلى تأكيد على خطأه^(٦٣).

أما في شأن **العبادات** الإسلامية فقد انتقد متى بشدة عقيدة المسلم في الصيام الذي يبدأ من مطلع الفجر حتى غروب الشمس، لكنه يستنكر امتناع الرجال عن النساء في حال الصيام واعتبار المسلمين أن ذلك مرضاة لله، وأكد أن الرجال يكثرون من جماع نساءهم في الليل، كما يغضبهم أن يوجد مبيحات للفطر في أحوال المرض و السفر والحج أو غيرها من مبيحات

٦١- المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٥٧

62- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, 357. ; see also, English History, Vol. 1, p. p25

٦٣- «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» البقرة آية ٢٨٥

الفطر حال صيام الفرض، ويستنكر أكل وشرب المسلمين كل شيء عقب الإفطار خلا الخمر^(٦٤)، ولم يلفت نظره شيء في صلاة المسلم سوى الوضوء واتجاه القبلة، ففيما يخص الأول فقد اعتبره من تأثيرات الإنجيل، وهو لديه ضرب من ضروب المعمودية، أما القبلة فقد ذكر أنها إلى الجنوب^(٦٥) وأن يوم الجمعة فهو لدى المسلمين يوم مقدس أكثر من أي يوم آخر كما ذكر متى^(٦٦)، ولم يلفت إلى اختلاف القبلة باختلاف الموضع الجغرافي نحو الكعبة. وفيما عدا فريضة الصيام والصلاة فلم يعر باقي الفروض اهتماماً.

كما أقر متى باعتقاد المسلم باليوم الآخر يجمع فيه الناس لفصل الخطاب، ويستشهد على ذلك برواية غريبة يقال أن النبي قد رواها عن عيسى عليه السلام ليؤمن المسلمون بأن هناك حياة آخرة، نقلت بنصها من تاريخ الطبري وعلق عليها ابن كثير^(٦٧) بغربتها وانعدام مصدرها، وهي قصة استدعاء يافث ابن نوح عليه السلام من عالم الأموات، وهو الذي مات في شبابه فقام بناء علي الرواية وقد شاب من اتقاده بأن القيامة قد قامت^(٦٨). ولا يعجب متى أن يؤمن المسلم بأن النية مقدمة على العمل، وأن النية الطيبة ربما تصل بصاحبها إلى أعلى الدرجات^(٦٩).

كما عرض لشريعة تعدد الزوجات لدى المسلمين موضحاً أن من حق المسلم القادر الجمع بين ثلاث أو أربع نساء، بجانب عدد لا محدود من الجواني قدر استطاعته، عاقدا مقارنة بين عقيدة الزواج عند المسلمين وعقيدة الزواج عند المسيحيين موردا آية من سفر التكوين وهي «هناك سيكون اثنان في جسد واحد» مواصلا المقارنة بالتأكيد على عقاب الرب لمن بدأ بتعدد الزوجات. كما ينكر على المسلمين أمر الطلاق في حالة استحالة العشرة، كما ينكر عدم وجود قاعدة للمهور في الإسلام^(٧٠). وقد استهجن متى هذا التعدد لأنه غاية وهدفا سعى من ورائه نبي الإسلام وهو كثرة وزيادة عدد المسلمين، ووصل به الأمر إلى الادعاء بأن من يكون قادرا ولا يتخذ عددا من الزوجات تعاقبه حكومة المسلمين، ويقدم متى مبررا أدعى أنه سبب عدم وجود رهينة في الإسلام وهو أن المسلم يعتقد كما أمره نبيه محمد أن الله لم يخلق آدم وحده لكنه خلق معه حواء لعمران الأرض، وتعدد الزوجات يحقق هذه الغاية، ثم يعود، للكتاب المقدس ويوضح

64- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1, p23

65- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p357. ; see also, English History, Vol. 1, p.25

66- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1, p.23

٦٧- ابن كثير قصص الأنبياء، ص ٩٠ - ٩١

68- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p358. ; see also, English History, Vol. 1, p26

69- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p357. ; see also, English History, Vol. 1, p.25

70- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1, p23

أن الرب قد عاقب من فعل فعل المسلمين في الزمن الغابر بتعدد الزوجات، بإغراق الأرض في طوفان نوح عليه السلام الشهير^(٧١).

وقد أبت نفس متى أو من أخذ عنه ان يوضح أنه بالرغم من وجود هذا التشريع الذي يجيز بأكثر من واحدة له قيود منها العدالة بين الزوجات، وأن المجتمع الإسلامي معظم رجاله يكتفون بزوج واحدة كما اقر أرنولد بورشارد عندما زار بلاط صلاح الدين^(٧٢).

كما شدد النكير على اعتقاد المسلمين برفعة نبيهم عند رب العالمين، وأن من يتمسك بدين الإسلام ويلتزم به سوف ينجو في الآخرة ويدخل الجنة، بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، والجنة كثيرة اللبن والعسل والخمر حيث ينعم كل مسلم بالنعيم المقيم ويحصل كل مسلم على ما حرم منه في الدنيا، وأنهم لا يحزنون فيها بل نعيم مقيم ومسرات غير محدودة، وختم هذه النقطة بتوضيح أن المسلمين يؤمنون أن الثراء والغنى ومتع الحياة الأرضية لن تمنع سعادتهم الأخروية^(٧٣). والحقيقة أن كل ما وصفه متى في هذا الجانب في محله كما ورد في القرآن والسنة^(٧٤) غير أنه لم يشر في عبارته الأخيرة أن هذا الأمر مشروط بإنفاق الأموال في محلها وأداء زكاتها.

وفيما يتعلق بصورة العقوبات في الإسلام لدى متى فقد عرض لجريمتين أولوهما عقوبة القتل لمن يقتل بعد سماع الشهود وتؤكد إرتكابه لهذه الجريمة، أما الجريمة الثانية فهي جريمة الارتداد ومن يفعل يستتاب ويعطى فرصة ثلاثة أيام لمراجعة نفسه فإن أصر يقتل^(٧٥). ولم يبتعد متى كثيرا عن حقيقة عقاب هاتين الجريمتين، اللتين لو تفشيا دون رادع أو مانع لعرضتا استقرار المجتمع الإسلامي للتدهور، غير أن متى لم يدرك قانون الدية الذي يعطى صاحب الدم حق العفو مقابل الدية أو القصاص^(٧٦)، كما أن عقوبة المرتد في حد ذاتها رادعا لكل من يريد أن يتظاهر بالإسلام لتحقيق غرض بعينه من اعتناق الإسلام ثم يعود إلى دينه الأصلي بعد ان يكون قد اطلع على عورات المسلمين لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٧٧).

71- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p356. ; see also, English History, Vol. 1, p. p24

72- Munro, the western, Attitude toward Islam, p.338

73- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1, p23

٧٤- سورة محمد (آية: ١٥): «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذه للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم».

75- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1p., p23

٧٦- الشافعي، الأم، ج٧، ص ١٤٨

٧٧- الشافعي، الأم، ج١، ص ٢٥٧

وفيما يتعلق باعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام يستهجن متى اعتقاد المسلمين في بشريته وأنه قد حملت به أمه، وهو لدى المسلمين من أعظم الأنبياء، كما يؤمنون بأنه رفع حيا إلى السماء ويتوقع أن يعود إلى الأرض مرة أخرى، وأنه لم يصلب، وإنما صلب غيره وأن الأنجيل الموجودة في يد النصارى محرفة^(٧٨). وهذه الرواية في مجملها تتفق بالفعل مع ما يعتقده المسلمون في عيسى عليه السلام، وما ورد في القرآن والسنة، كما يعتقد كل مسلم أن عيسى عليه السلام من أولو العزم من الرسل الذين هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد^(٧٩).

وبعد وصف الإسلام ونبيه بكل نقیصة حار متى أمام سرعة انتشار الإسلام فاخترق الحجج والمزاعم، وقدم عدة اسباب وقفت وراء انتشار الإسلام أولها، تملق خلفاء النبي وتلونهم حتى خدعوا الناس بعقيدة النبي، ثانيها القوة لرد المرتدين إلى الإسلام، ثالثها متع الدنيا التي قدمها الخلفاء للناس، ويشدد متى على أن الترف والمتعة كانتا سببا أساسيا في انتشار الإسلام في بقاع العالم البعيد حتى لا يلتزموا بشرع المسيحية التقشفي، فكان خيرا لهم أن يتحولوا إلى الوثنية الإسلامية في زعمه بعد أن أعمتهم متع الدنيا وزينتها^(٨٠)، أما السبب الرابع فهو أحد رجال الدين المسيحي المحرومين الذي حقد على المسيحية بعد حرمانه فقرر عقاب المسيحيين فانتقل إلى ديار الإسلام وتعاون مع عم النبي - لا ندري أي عم هو - وعلمه العهدين القديم ومنه أخذ كثر من الكتب المقدسة السابقة وأدمجها في الإسلام، بل بأفكاره استطاع إقناع كثير من العرب بالإسلام^(٨١) وإذا كان متى في السابق يصور صورا مشوهة مستقاة من خلط السيرة ببعضها فهو هنا يخلط الأفكار اختلافا ويستكثر على المسلمين أن يتمكنوا من تلقاء أنفسهم من جراء تطوير الإسلام لهم أن يؤسسوا حضارة مستقرة وبالتالي اعتمدوا على غيرهم من أهل الذمة وهو حط من شأن العرب وإن لم يصرح.

كما لم يفت متى في صورته أن يلمح إلى مشكلة الخلافة الإسلامية فأشار إلى أن عليا بن أبي طالب وهو زوج ابنة محمد صلى الله عليه وسلم وقد سمت نفسه إلى الملك من بعد حماه، لكن أبا بكر حرمه من مسعاه لا لشيء سوى المكسب والشرف الدنيوي^(٨٢). وهنا يابى متى ألا يدع شيئا في الإسلام إلا شوهه، فكما شوه سيرة الرسول أبي إلا أن يشوه سمعة خلفائه، فاتهم أبا بكر بالسعي للخلافة للمكسب، وفاته أو تعمد أن يخبر أن هذا الخليفة كان يتقاضى مرتبا محدودا،

78- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p355. ; see also, English History, Vol. 1, p22

٧٩- شرح العقيدة الطحاوية، ج١، ص٩٦

80- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p352. ; see also, English History, Vol. 1, p., p21

81- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p353. ; see also, English History, Vol. 1, p21

82- Matthaei Parisiensis, Chronica Majora, vol III, p353. ; see also, English History, Vol. 1p., p21

مثل راتب عامة المسلمين وعطائهم من بيت المال، فلما حضرته الوفاة لم يكن في بيته دينارا ولا درهما، ولم يترك سوى خادم وناقاة وإناء للحليب حتى قال عمر: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده^(٨٢).

ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه هي الصورة التي رسمها متى للإسلام نبيا وعقيدة، وكما ذكرنا فقد قامت الصورة على النقل المشوه من المصادر الإسلامية لتحقيق الغرض الأساسي الذي كتبت من أجله ألا وهو إثارة حقد الأوربيين ضد هذا الدين وأتباعه فينطلقون أفواجا إلى قتالهم. ولم يرد متى أن يظهر شيئا من حسن الإسلام إلا بقدر ما يحقق غرضه وهو دس السم في العسل كما ادعى هو ضد نبي الإسلام، حتى أنكر رحمته ورفقه بالناس وما تركه من تعاليم للحرية الدينية بناء على أوامر الله التي وردت في القرآن «لا إكراه في الدين»^(٨٤)، ولا ما تركه من تعاليم لتنظيم حياة المسلمين فيما بينهم، ولا ما تركه من تعاليم في شتى مناحي الحياة مكنت المسلمين من إقامة حضارة زاهرة نهلت أوربا منها لقرون عديدة.

ومهما يكن من أمر فهذه الصورة تعبر عن منحى جديد في التعامل مع الشرق الإسلامي، تمثل هذا التحول في الاتجاه إلى نشر المسيحية الكاثوليكية بين المسلمين، وهذا الأمر لم يكن مطروحا في بداية الغزو الصليبي للمنطقة العربية ذلك أن الإبادة وإحلال الكاثوليك الغربيين محل الشرقيين مسلمين كانوا أم مسيحيين شرقيين^(٨٥)، غير أن هذه الأيديولوجية الدموية لم تفلح، واستطاع صلاح الدين عقب حطين الاطاحة بمملكة بيت المقدس^(٨٦)، كما لم تفلح الحملة

٨٣- ابن سعد الطبقات، ج ٣، تحقيق د. علي محمد عمير، ٢٠٠١م، ص ١٧٥

٨٤- البقرة، آية ٢٥٦

٨٥- كان سفك الدماء في مقدمة انجازات الصليبيين في الحملة الصليبية الأولى، فسفكوا دماء ألاف البشر من اليهود و الأوربيين والبيزنطيين والمسلمين والمسيحيين الشرقيين، وتوجهوا كل ذلك بمذبحة القدس التي زاد عدد ضحاياها عن ثلاثين ألف نفس حتى خاض الصليبيون في الدماء في المدينة حتى ركبهم، حول هذه المسيرة الدموية انظر: مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ترجمة د. حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م؛ ريموندا جيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة د. حسن عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م؛ ولیم الصوري، الحروب الصليبية، ج ١ ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١م؛ بطرس توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة د. حسن عطية، الإسكندرية، ١٩٩٨م؛ فوشيه الشارترى، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٧-١٥٢. انظر أيضا:

Annales de terre saint, p 429 - 430

ومن المصادر العربية راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، دار صادر، بيروت، ٢٨١-٤٧٠؛ الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملائع على بلاد المسلمين، ضمن الموسوعة الشامية، ج ٢٣، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٣١٨-٣٢١.

٨٦- حول حطين ونتائجها راجع: حول معركة حطين انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٥٣٩-٥٤١؛ ابن شداد، سيرة صلاح الدين، دار بن خلدون الإسكندرية، د. ت، ص ٥٩-٦٢؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٥٩-٨٤، مجهول، ذيل ولیم الصوري، ٨٩.

الصليبية الثالثة وانتهت بتوقيع صلح الرملة مع صلاح الدين ٥٨٨هـ (١١٩٢م)^(٨٧) بالرغم من ضخامة الاعداد والتموين ونوع القادة من تغيير الواقع كثيرا، كما انحرفت الحملة الصليبية الرابعة عن وجهتها مصر وتحولت للقسطنطينية عام ١٢٠٤م^(٨٨)، ولم تغير الحملة الصليبية الخامسة على مصر ١٢١٩م شيئا من الواقع^(٨٩)، أما الحملة السادسة بقيادة الامبراطور فردريك الثاني فلم توصف بالصليبية في نظر المعاصرين نظرا لحرمان الامبراطور ومنافسته للبابوية^(٩٠)، كل هذه الأمور أقت ظلالا من الشك حول مستقبل الحروب الصليبية، التي تحولت إلى قلب أوروبا بداية بالقسطنطينية ثم الهراطقة الألبنجيسيين^(٩١) ثم إلى الإمبراطور فردريك

L'Estoire de Eracles , p 65 ; Amadi, Chronique D'amadi , Publiees par De Mas Latrie, Paris, 1861 , p. 58 f. Cf. also, Nicolle (David), Hattin 1187 Saladin Greatest Victory, Oxford, 2005; King, The Knights Hospitallers , p 128

٨٧- حول صلح الرملة انظر: الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٦٠٥؛ ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص ٢٨٢؛ مجهول، ذيل وليم الصوري، ص ٢٣٨. وانظر أيضا.

Richard of Devizes, Chronicle , trans. By J.A. Giles , Cambridge , 2000 , p59 ; Itinerium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi, ed. William Stubbs, R. S., vol. VI, London , 1864, pp 27- 28. Cf also: Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem , vol 3 , pris 1946 , P118 - 119.

٨٨- راجع أيضا: رنسيان، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٣٨-٩؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ج ٣، ص ٨٩٦-٨٩٩؛ مصطفى الكناي، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي ١١٧١-١٢٩١م/٥٦٧-٦٩٠هـ، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ٢٠٣

٨٩- لمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الرابعة وبصفة خاصة موقف البابا أنوسنت الثالث منها انظر الدراسة التفصيلية التي قام بها ألفريد جون أندرو بعنوان أنوسنت الثالث صليبي وقانوني، علاقته باليونانيين في القسطنطينية.

Andrew(Alfred John), pope Innocent III as Crusader and Canonist : his relation with the Greeks of constantinople , 1198 - 1216, Ph. D. thesis , Cornell University, 1969

90- Matthew paris, English History, vol. II, p462 - 463

رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٤٨١؛ جوزيف نسيم، لويس التاسع في الشرق الأوسط، ص ٩٢-٩٣؛ قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٣٩

٩١- لمزيد من التفاصيل عن الحرب الألبنجيسية انظر:

Kington, Life of FrederickII, vol. I, pp. 74 - 76; Sismondi (J.C.L.), History of the Crusades against the Albigenses in the Thirteen Century, Boston, 1833; Tout, the Empire and the Papacy 918-1273-, London, 1917, p.215 - 217, 332 - 333; Strayer (Joseph), The Albigensian Crusade, Michigan, 1992

وانظر أيضا: سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص ٢٦٧-٢٧١

الثاني أقوى ملوك أوروبا، ومن هنا شجعت البابوية الحركة التبشيرية ومنحت القائمين عليها الكثير من المزايا، لتشجيع هذه الحركة^(٩٢).

غير أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح بشكل واضح فعاودت البابوية تحريك الدعاية الصليبية داخل أوروبا من خلال نشر تقارير عن الاسلام ومبادئة لإثارة أحقاد الأوربيين ضدهم ومن التقارير رسم متى هذه الصورة التي قدمنا لها.

92- Gregory IX Grants the Crusading Privilege to Franciscan and Dominican Missionaries in Outremer, Lateran, march 4, 1238, in Kedar, Crusade and Mission, European Approaches towards Muslim, New Jersey, 1984, p.213